Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 7, Issue 8 (2023) • P: 53 - 43
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

The stages of the play's development from the ancient era to the Umayyad era

Co-Prof. Narjees Abdulghaffar Saeed Bazuhair
Applied College | University of Tabuk | KSA

Received: 20/03/2021
Revised: 30/03/2021
Accepted: 11/05/2023
Published: 30/08/2023

* Corresponding author: nbazuhair@ut.edu.sa

Citation: Bazuhair, N. A. (2023). The stages of the play's development from the ancient era to the Umayyad era. *Journal of Humanities & Social Sciences, 7*(8), 43 – 53. https://doi.org/10.26389/AJSRP.N200321

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The play is one of the ancient literary type that have passed through different historical stages since its inception in ancient times in the Sumerian and Babylonian civilizations in the Euphrates land in Iraq, the Pharaonic in the Nile Valley in Egypt, the Greeks in Greece and the Romans, the pre-Islamic era, and the early Islam. These different stages in which this beautiful literary art developed, and it made great strides towards progress until it reached the end of the Umayyad era, and the beginning of the Abbasid era when the Abbasid state was established in the year 132 AH. It was found through the study that the play had gone through several stages, and it began with primitive dance in religious ceremonies, in temples, at weddings, when sowing, harvesting, etc. The question is in which of these ancient era appeared the play first?

Do literary types such as poetry, novels, story, and drama have a relationship between them, or are these types different from each other, and there is no similarity between them?

Keywords: Greek theater, Mesopotamia theater, Pharaonic civilization theater, Arab theater.

مراحل تطور المسرحية من العصر القديم الى العصر الأموي

الأستاذ المشارك / نرجس عبد الغفار سعيد بازهير
الكلية التطبيقية | جامعة تبوك | المملكة العربية السعودية

المستخلص: المسرحية من الأجناس الأدبية القديمة التي مرت عليها أدوار ومراحل تاريخية مختلفة منذ نشأتها في العصور القديمة في الحضارات السومرية والبابلية في أرض الفرات في العراق، والفرعونية في وادي النيل بمصر، والإغريقية في اليونان والرومان، والعصر الجاهلي، وصدر الإسلام؛ وهذه الأدوار المختلفة التي تطور فيها هذا الفن الأدبي الجميل، وخطت خطوات واسعة نحو التقدم حتى وصلت إلى نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي عندما قامت الدولة العباسية سنة 132هـ، فقد تبين من خلال الدراسة أن المسرحية قد مرت بعدة مراحل فكانت تبتدئ بالرقص البدائي في الاحتفالات الدينية، وفي المعابد، وفي الأفراح، وعند الزرع، والحصاد ، وغير ذلك، وحاول هذا البحث أن يفتح ملفا قديما جديدا ليستخلص جوابا بعد عرض مراحل تطور المسرحية في العصور القديمة لسؤال في أي هذه العصور ظهرت المسرحية أولا ؟ وهل الأجناس الأدبية كالشعر، والرواية، والقصة، والمسرحية توجد بينهما علاقة، أم تختلف هذه الأجناس عن بعضهم البعض، ولا يوجد تشابه بينهم؟

الكلمات المفتاحية: المسرح الإغريقي، مسرح وادي الرافدين، مسرح الحضارة الفرعونية، المسرح العربي

المقدمة:

تَميز الإنسان البدائي بالبساطة والعفوية، وهذا ما انعكس على عاداته وطقوسه فقد اتصفت بالتلقائية نتيجة لتفكيره الذي حاول أن يجد به تفسيرا لكل ما يحيط به فتولدت لديه ممارسات دينية، واعتقادات؛ فمن هنا بدأ يولد الفن المسرحي، فقد ذكر المؤرخون أن الفن المسرحي هو أول الفنون، حيث أُطلق عليهِ لقب أبو الفنون (مجيد، 2002م)، لما له من اتصال وثيق بحياة المجتمعات كونه توليفة تُجمع في سبكة واحدة متجانسة من الأحداث، والشخصيات، والزمان، والمكان، واللغة، في قالب واحد؛ لذا نشأت عند جميع الشعوب في العصور القديمة عبر آلاف السنين، من الاحتفالات والأعياد، ومن الطقوس، والرقصات، والأناشيد، ومن المواكب التي كان يقيمها اليونانيون القدامى، وكان المكان المعد لتلك الحفلات يسمى مسرحا، فالفن المسرحي من الفنون الأدبية القديمة الراقية، وظهر مع الإنسان البدائي؛ فكانت عند السومريون، والبابليون في العراق القديم، وعند قدماء المصريين –الفراعنة-،وعند اليونان، والرومان الذين شكلت نهضتهم المسرحية انعطافة جديدة في بلورة فكرة المسرح وتطويرها ونشرها على مدى واسع من خلال روائع مسرحيات عظيمة معروفة، وعلى مر الأزمان خضعت للتحوير والتشكيل في شكل العروض التي تمثل على المسرح، بل إن دور التمثيل نفسها كانت موضعاً للتغيير والتبديل، فقدم الأدب المسرحي في الميادين، وخارج المعابد، وداخل الكنائس، لتكون أولى موضوعاته هي الأساطير الدينية، ومرّت المسرحية بأطوار ومراحل حتى وصلت إلى الشكل الذي نعرفه حاليا، لذلك أحببت أن أدلو بدلوي في هذا الموضوع فاخترت أن أبحث في هذا الموضوع ووسمته بـ" مراحل تطور المسرحية من العصور القديمة إلى نهاية الدولة الأموية 132هـ "لأنه من الأهمية بمكان أن يُعنى الباحثون به.

وقد سرت في هذا البحث على النحو الآتي:

مشكلة الدراسة:

هل أقدم المسرحيات في التاريخ؛ هي :المسرحيات الإغريقية أم الفرعونية، أم البابلية والسومرية ؟

هل القصة والرواية هما المسرحية، وما علاقتهما بها؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الموضوع من خلال الأمور الآتية: -

الأمر الأول: يعتبر المسرح من الفنون التي لها اتصال وثيق بحياة المجتمعات، كونه توليفة تُجمع في شبكة متجانسة من الأحداث والشخصيات، في قالب واحد

الأمر الثاني: المسرح ليس مجرد وسيلة ترفيهية، وإنما يتخطى دوره هذا، فيسهم في تمثيل الواقع، وعكس كل ما يحصل به، حيث يمثل جميع القضايا التي تحصل في المجتمع بصورة واضحة أمام الناس.

الأمر الثالث: أن المسرحية لها دور كبير في الحياة الاجتماعية سواء في إطار ديني اجتماعي؛ أو اجتماعي سياسي. فتحل الكثير من المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع، فهو يكشف الغطاء عنها، ويقدم للناس بعض الحلول، ويزيد نسبة الوعي لدى المجتمع لما يدور فيه من أمور مختلفة تمس نمط حياتهم.

الأمر الرابع: المسرحية تعالج المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع من خلال عرض المشكلة وعرض الحلول.

الأمر الخامس: أن بحث هذا الموضوع يعطي صورة واضحة أن الفن المسرحي يعتبر من أقدم الأجناس الأدبية.

الأمر السادس: أهمية المسرحيات في تقديم الموروثات الثقافية المصورة لرهانات الزمن وانحرافاتهفكل الحضارات الكبيرة كانت الفنون بما فيها الفنون المسرحية أحد أوجه نهضتها

الأمر السابع: المسرح يرصد التحولات التي تطرأ على بنية المجتمع، فالمسرح يساير الأحداث ويواكب التغيرات، والتحولات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي تحدث في المجتمعات المختلفة، فمن خلال دراسة المسرحيات المختلفة يمكن الوقوف على طبيعة المجتمع وعاداته وتقاليده، وكذا مشاكله وقضاياه ونظمه السياسية.

الأمر الثامن: دراسة هذا الموضوع استقلالا يعد إضافة لبنة جديدة للمكتبة الأدبية خاصة، والمكتبة اللغوية عامة.

سبب اختيار الموضوع.

بالإضافة إلى ما ذكرته سابقا في أهمية الموضوع؛ يرجع سبب اختياري للكتابة فيه:

1- إن الفن المسرحي أساس انطلاق الفنون الأدبية الأخرى.

2- الفن المسرحي يعتبر من أصعب الفنون الأدبية، حيث أنه الفن الذي يكون فيه الفنان في لقاء مباشر مع الجمهور، فإذا أخطأ فليس هناك مجال للتراجع وإعادة المقطع، وإذا نسي فقرة فلن يستطيع إيقاف المسرحية للمراجعة.

منهجية الدراسة:

منهج الكتابة في الموضوع يكون على ضوء النقاط الآتية:

1- سوف اتبع المنهج الاستقرائي.
2- المنهج الوصفي للمراحل التاريخية.
3- جمع المادة العلمية بكل تتبع ودقة ما استطعت إليه سبيلا، وذلك من المصادر التي أثبتها في هوامش البحث.

هيكلة الدراسة:

يتكون هذا البحث من ستة فصول، وخاتمة، وتوصيات، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول:المسرحية في الحضارة السومرية والبابلية في العراق القديم.
الفصل الثاني:المسرحية في الحضارة الفرعونية القديمة.
الفصل الثالث:المسرحية في الحضارة الإغريقية.
الفصل الرابع: المسرحية في عصر الجاهلية.
الفصل الخامس:المسرحية في عصر صدر الإسلام.
الفصل السادس:المسرحية في عصر الدولة الأموية.

مراحل نشأة المسرحية في العصر القديم

تمهيد

استخدم الإنسان البدائي العديد من الطرق والأساليب، للتعبير عن ما يود قوله أو فعله، سواء في مجال العبادات، أو الحياة المعيشية له، وكان من ضمن ما استخدم "الرقص" الذي كان يعبّر به عن الانفعالات والأحاسيس وغيرها، للتعبير عن السرور والفرح والحزن أو حاجاته للمطر والغذاء ... إلخ، ومع بزوغ شمس العبادات والديانات والآلهة التي كان يعبدها الإنسان البدائي، أصبح الرقص طقساً دينياً، حيث كانوا يتوجهون إلى آلهتهم سواء للعبادة أو لطلب حوائجهم بالرقص، وبنظرة فنيّة إلى حركة الإنسان البدائي المرسومة في المعابد على الجدران، نجد أن هذه الحركات لم تكن شيئا مسرحيً مؤثراً، ولكنها كانت تنطوي على نواة وبادرة مسرحية ،وهذا ما توصل إليه كثير من المؤرخين من القول: بأن المسرح ولد نتيجة لـ" تأثير الأسطورة على الإنسان والممارسات البدائية لطقوس الرقص، والأداء الإيمائي، والاحتفالات الشعائرية " (إبراهيم، الدراما والفرجة المسرحية، 2006م).

من هذا فهم المؤرخون والنقاد؛ أن المسرحية وجدت منذ زمن بعيد، وتطورت في بيئات تاريخية مختلفة، وكانت في كل طور من أطواره، أو بيئة من بيئاته،تعرف تطورا معينا؛ فقد كان الأدباء في الفن العريق يضيفون مبادئ ويستغنون عن أخرى، وذلك تماشيا مع ظروف الحياة الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، التي كان لها بالغ الأثر على الأدب عموما والمسرح بصفة خاصة، لأنه أكثر الفنون الأدبية التصاقا بمستجدات الحياة منذ زمن بعيد حتى وصل إلى الصيغة المعروفة لدينا اليوم، وهنا يطرح السؤال متى نشأت المسرحية في العصور القديمة ؟ وفي أي عصر؟ بعد اتفاقهم على أن الفن المسرحي وجد منذ آلاف السنين، وساهمت فيها شعوب وأمم مختلفة عاشت على وجه البسيطة، ولكنهم اختلفوا، في أي عصر؛ أو في أي حضارة؟ هل الحضارة البابلية، أم الفرعونية، أم الإغريقية، فمن النقاد من قال: أقدم المسرحيات التي عرفها الأدب هي المسرحيات الإغريقية التي كانت لنشأتها في بلاد اليونان علاقة بعقائدهم، فقد آمن الإغريق بآلهة متعددة؛ نظرا لطبيعة بلادهم الجغرافية المتنوعة من مظاهر الجبال، والتلال، والكهوف، والقمم العالية، والثلوج، والأنهار، وغير ذلك من المظاهر الجغرافية، فتوهموا أن ثمة قوى خفية وراء هذه المظاهر الطبيعية فقدسوها، فشكلت نهضتهم المسرحية انعطافة جديدة في بلورة فكرة المسرح وتطويرها ونشرها عالمياً على مدى واسع من خلال روائع مسرحية عظيمة معروفة، وذكر البعض الأخر من المؤرخين والنقاد: أن بدايات المسرح تعود للسومريين والبابليين في العراق القديم، والفراعنة في مصر القديمة، التي عاشت في وادي الرافدين وفي حوض النيل، إلى حوالي(3200ق.م)، أي قبل المسرح الإغريقي بوقت طويل، وأيضا من المؤرخين والنقاد من قال : أن العرب في العصر الجاهلي قبل وبعد ظهور الدين الإسلامي، وفي الدولة الأموية التي سقطت على أيدي الدولة العباسية عام

132هجرية تطرقوا للفن المسرحي، ودِوّن أنهم تعاملوا معه (ذياب، 2015-2016م) وعلى كل حال سوف استعرض ما ذكره المؤرخين في الفصول التالية:

الفصل الأول: المسرحية في الحضارة السومرية والبابلية في العراق القديم.

لم يستطيع المؤرخون أن يحددوا المرحلة التاريخية لنشأة الحضارة السومرية والبابلية القديمة على الإطلاق، ولا أحد يستطيع أيضاً أن يحدد الفترة الزمنية لظهور آدابها القديمة المختلفة، ومنها ملحمة "كلكامش" التي هي أول ملحمة عظيمة في تاريخ البشرية، والأساطير التي سبقتها أو رافقت ظهورها، فالبعض يرجع فترة تدوينها إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وبداية الألف الثاني قبل الميلاد، لكن إنتاجها ونضجها قد تم قبل هذه الفترة بكثير ،حيث بقيت تلك الملحمة وتلك الأساطير محفوظة في الذاكرة الشعبية عبر الرواية الشفوية جيلاً بعد جيل إلى أن تم تدوينها في النهاية في تلك الفترة، والبعض يرجع هاتان الحضارتان إلى حضارة وجدت قبلهما وهي حضارة (أور) البالغة في القدم، ونتيجة تواصل الحضارات القديمة بعضها ببعض التي أثرت وتأثرت الواحدة بالأخرى وجاءت مكملة لها، مما أدى هذا التطور اللاحق والمتواصل إلى نمو ونضوج تفكير الإنسان القديم وبلورة إمكاناته الأدبية والفنية للتعبير عن حياته ووجوده بطريقة هي أكثر عمقاً وسمواً وبلاغة عن السابق، ولقد انتشرت الملحمة في حضارات العالم القديم، ففي العراق القديم لم يقتصر تداولها على (سومر)،(وأكد) بل انتشرت إلى بلاد (آشور) وإلى أقاليم نائية من بلاد الأناضول، وإلى مدن مختلفة في فلسطين القديمة ومنها مدينة " مجدو "المشهورة قديما.

إن الدراسات الكثيرة قد أكدت على أن هذه الملحمة حفظت عن ظهر قلب، وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل إلى أن تم تدوينها تقريبا نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وبداية الألف الثاني قبل الميلاد، وهذا يعني قطعاً وجود أداة توصيلية لنقل الحكاية من زمن إلى زمن أخر، ومن مكان قريب إلى مكان أبعد عاشته الأقوام الغابرة، وهذه الأداة التوصيلية تسند إلى السرد ، والسرد هنا قد لا يختلف كثيراً عن التمثيل الفردي العميق الجذور في منطقتنا، والذي عرف في الشرق قبل ظهور المسرح بوضعه الذي ظهرت محاولاته الأولى في القرن الثامن عشر، وإلا كيف تم الحفاظ على الملحمة من الضياع والنسيان دون وجود الرواية الشفهية المؤثرة، والفعالة التي كان لها بالغ الأثر في ديمومتها قبل تدوينها في النهاية على الرقم الطينية، ويعتبر مشهد موت (أنكيدو) وتفسخ جثته سبعة أيام بلياليها، وامتناع (كلكامش) عن دفنه عسى أن حزنه ورثاءه لصديقه يستطيع أن يعيده للحياة من جديد، هو من أرق المشاهد الدرامية وأكثرها صدقاً في معالجة موضوع الموت في تاريخ الأدب الإنساني قديماً وحديثاً ، ويعتبر مشهداً مسرحياً متكاملاً دون ريب نظراً لتوفر كل الشروط الدرامية فيه ،إن هذا المشهد في الملحمة ليس مشهداً روائياً بل هو مشهد مسرحي يعتمد على (المونولوج) الداخلي لشخصية (كلكامش) نظراً لوجود الحوار الذي يصارع فيه فعلاً درامياً قل نظيره.

أن السومريين والبابليين القدماء قد عرفوا فن الوصف وفن الرواية أو (الملحمة) و فن المحاورة المسرحية من خلال العديد من القطع الأدبية النادرة مثل المفاخرة بين الصيف والشتاء، والراعي والفلاح، والنحاس والذهب، وغيرها ،وأغلبها كتبت باللغة السومرية، أما في اللغة (الأكدية) فقد كتبت العديد المفاخرات الأدبية، ومن أدب التشاؤم، والسخرية كتبت بعض القطع ومنها القطعة الشعرية الحوارية الهامة (العبد والسيد) التي قدمت على خشبة المسرح عدة مرات باعتبارها نموذجاً لفن المحاورة في العراق القديم، وبهذه الاكتشافات يمكن القول أن (الأكديين)، و(السومريين) و(البابليين)، تعاملوا مع فن المحاورة والتشخيص مثلما تعاملوا مع فن الوصف الروائي أو القصصي، كما أن الاكتشاف الذي قام به المكتشفون الأثريون في الستينيات من القرن الماضي بمدينة بابل ، لمسرح مشابه للمسارح اليونانية القديمة التي كانت تقدم عروضاً مسرحية في الهواء الطلق ، كان شبه دليل على وجود مكان تقدم فيه العروض المسرحية، ولكن أية عروض ؟ هل هي عروض راقصة ؟ أم أنها عروض طقسية لها علاقة بأعياد " دموزي " تموز على ضوء ما ورد في الأسطورة السومرية – البابلية " تموز وعشتار ".

إن هذه الافتراضات المنطقية تنقصها الأدلة الدامغة التي تثبت أن العراقيين القدماء عرفوا المسرح وتعاملوا معه قبل اليونانيين القدماء ، نظراً لأن المسرح اليوناني العريق أثبت أنه أعرق مسرح في العالم من خلال المسرحيات العظيمة (لأسخيلوس)، و(يوربيدوس)، و(سوسوفوكلس) التي كانت وما زالت في متناول يد الجميع نظراً لحفظها، وتدوينها تاريخياً، وهذا الأمر الهام لم يكتشف قطعاً عند السومريين والبابليين حتى الآن، نظراً لعدم وجود قطع مسرحية مكتشفة كالقطع المسرحية اليونانية التي يمكن قراءتها في حاضرنا كأنها كتبت قبل مدة من الزمان، وليس أكثر من أربعة ألف عام قبل الميلاد (مجيد و د.عبدالله، المسرحية في المسرح العربي تاريخياً –).

الفصل الثاني: المسرحية في الحضارة الفرعونية القديمة.

هذه الحضارة العريقة، شامخة شموخ الأهرامات والمعابد الأثرية التي تنتشر في مناطق مختلفة من وادي النيل،فالظواهر المسرحية في مصر القديمة هي أكثر وضوحاً من وجود بذور الدراما في العراق القديم، وذلك لوجود القطع المسرحية المكتوبة التي تم اكتشافها في العصر الحديث وبالتحديد في القرن الماضي، حيث كانت مكتوبة على جدران المعابد أو على أوراق البردي، والتي تحمل في نوعية بنائها الفني شيئاً من فكرة، أو هيكلية البناء الدرامي، فإن اكتشاف القطع الفرعونية القديمة المحجوبة المكتوبة في بعض البرديات التي وجدت في معبد (الرامسيوم) عام 1896 م، والتي تعود إلى حوالي 2935 ق.م، تؤكد على أن الفراعنة القدماء قد تعاملوا مع الفن المسرحي، فمصر الفرعونية قد شهدت من خلال هذه القطع الدينية شكلاً من أشكال الحركة (المسرحية)، وقد تطور هذا الشكل بمرور السنين وتحول الآن في مصر إلى ما يسمى باسم مسرح (السامر)، وهو شكل يقيمه الفلاحون المصريون احتفالا بأوقات الحصاد، وعند إحداث مقارنة بين الأشكال المسرحية التي كانت تقدم بالأمس البعيد والتي تقدم اليوم ، يمكن الوصول إلى أن فكرة مسرح السامر مشتقاه جذورها من تلك الأشكال المسرحية الدينية التي كانت تقام في زمن الفراعنة، باعتبار أن العادات، والتقاليد، والطقوس، مهما كان نوعها يمكن أن تتواصل من جيل إلى جيل، وأن يرثها الحاضر من الماضي القديم، أما أشهر الحكايات المصرية في حكاية الأخوين هي (أنوب) و(باتو) التي دونت قبل الميلاد بحوالي ألف وثلاثمائة سنة (دريوتون، 1988) (الدكتور إسماعيل) (الدكتور عبدالله)..

وقد ذكر الباحث الفرنسي (إتيين دريوتون"من خلال كتابه "المسرح المصري القديم) الذي صدر عام (1928م)، أن الفراعنة عرفوا فن المسرح قبل الإغريق، وأنهم منبع الدراما، وقد توصل الباحث إلى أنه كان هناك فن مسرحي نشأ مُستقلاً عن المسرحيات الدينية، وذلك من خلال لوحة كُشف عنها في (أدفو) عام (1922م)، عليها إهداء إلى الإله حور من ممثل متجول يُدعى (أمحب)، وتشير اللوحة إلى وجود مسرحيات، وتوزيع أدوار وحدث وممثلين ثانويين، كما توصل الباحث إلى وجود كراسات خاصة بالمخرجين، وأخرى خاصة بالممثلين، تحتوي على كل ما يتطلبه العرض المسرحي، ويعرض الباحث بعد ذلك نصاً كاملاً نقله من بين النصوص السحرية المنقوشة على لوحة (ميترنخ)، ويشير إلى أن هذا النص جزء من مسرحية مصرية نقلها من كراسات الممثلين، وأخيراً يورد الباحث مختارات من النصوص الدرامية الفرعونية، وهي: (ميلاد حور وتألهه)، و(هزيمة أبو فيس الشاملة)، و(معركة تحوتي وأبوفيس)، و(إيزيس وعقاربها السبعة)، و،حور وقد لدغه عقرب"، و"عودة سيث" (دريوتون، 1988).

والجدير بالذكر إن بعض الباحثين اقتنعوا بما توصل إليه (دريوتون)من وجود الفن المسرحي عند المصريين القدماء، فبنوا أبحاثهم على ذلك مثال: (الدكتور الدسوقي، 1954م)، (الدكتور مندور)، (مجلة، 1957م)، (صدقي، 1958)، (الدكتور سرحان، 1965م) (رشدي، 1972م)، (الدكتور أبوزيد، 1983م) ، ومنهم الدكتور أحمد الجوفي، الذي قال: "نشأ الأدب المسرحي في مصر الفرعونية نشأة دينية، وقد كشف البحث الحديث عن عراقة مصر في التمثيل، وأنها سبقت اليونان بثلاثة آلاف عام، كما يتضح من (تمثيلية منف) في عهد الملك (مينا)، ومسرحية (التتويج في عهد سنوسرت الأول)، ومسرحية (انتصار حور على ست قاتل والده أوزوريس) التي يرجع أن كاتبها أمجتب الحكيم في عهد الملك زوسر" (الدكتور الجوفي، 1966م).

الفصل الثالث: المسرحية في الحضارة اليونانية والرومانية (الإغريقية).

يميل معظم الكتّاب، والباحثين، والدراسات؛ الذين درسوا، وبحثوا في تاريخ المسرح إلى ترجيح نشأة المسرحية إلى الحضارة اليونانية، وتجعل أرض اليونان هي مهد المسرحية الحالية، فقد بلغت التراجيديا في بلاد اليونان القديمة قمة ازدهارها في القرن الخامس قبل الميلاد، في أعمال (إسخيلوس525-456 ق.م) أول مسرحية شعرية وهي (الضارعات) حوالي سنة(490ق .م)، ثم توالي نتاجه المسرحي إلى أن ظهر (سوفوكليس) الشاعر اليوناني الكبير (490-416ق.م)، وتعتبر اليونان أول من اهتم بالمسرح ووضع له نظاما خاصا، وعنهم أخذ العالم هذا الفن (الدكتور الدسوقي، 1954م)،كما عرفت الكوميديا في أعمال أرستو فانيس وغيره، ولكن ازدهار المسرح الدرامي في بلاد الإغريق لا يعني أن البداية الأولى للمسرح كانت بداية إغريقية، فقد وجد المسرح في بعض الحضارات القديمة السابقة على الحضارة الإغريقية، وإن كان قد اتخذ شكلًا مغايرًا للمسرح كما عرفه الإغريق، وليس من المعقول أن تكون تلك الأعمال المسرحية العظيمة التي عرفها الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد هي البداية الأولى لهذا اللون من الفن (مجيد ص.، 2002م)، وأقدم ما عرفه الغربيون هي المسرحيات اليونانية، وكانت موادها الأساطير اليونانية القديمة، كما نجدها في (الإلياذة والأوديسة) اللتين كانتا المصدر الأول لمعظم الآداب المسرحية في مراحل لاحقة، وإن كان بعض الباحثين لاحظ تشابهًا كبيرًا بين الأوديسة وإحدى قصص الأدب المصري القديم بما يعنى أن (هوميروس) تأثر بالأدب الفرعوني؛ وكما كان عند الفراعنة، فإن العروض المسرحية اليونانية ظلت حبيسة بين جدران المعابد وكان هدفها التقرب للآلهة بعرض الأساطير الدينية، ولم توجد صور واضحة للتطور الدرامي إلا مع الخطوات الجسورة التي بدأها (إيسخيلوسوس) و(فوكليسويو ربيدس) اللذين عنوا بالتراجيديا حتى جاء (أريستوفانس حوالي عام 445 ق.م)، وبدأ كوميدياته الساخرة التي وصلت إلى نحو أربع وأربعون مسرحية، عالج فيها شتى الموضوعات بالملهاة، وقد قلده كثيرون ممن جاءوا بعده في المسرح الروماني

(علي، السنة الثانية) ، (حمداوي) ، والتي بدورها كان لها الأثر الكبير في المسرحيات الأوربية، إذ سطا الكتاب الرومانيون على الأدب اليوناني (الإغريقي) ينهبونه نهبا، وأول من اشتهر من كتاب الرومان في الأدب المسرحي اثنان من أصحاب الملهاة هما (بلوتوس المتوفى 184ق.م)، و(تيرانس 185-159ق.م)، وإليهما يرجع الفضل في إحياء بعض الملاهي الإغريقية التي عفا عليها الزمن، ومع ذلك لم تظفر الحضارة الرومانية بما ظفرت به سابقتها الحضارة اليونانية من آثار مسرحية عظيمة. (الدكتور الدسوقي، 1954م).

قلت : والذي يظهر لي : أن هذا الفن كان في بداية نشأته عند اليونان على الأغلب الأعم كان يكتب شعراً لا نثراً، وقد أيد هذا القول أحد النقاد المعاصرين، ممن عنوا بدراسة هذا الفن ونقده فقال: "وللشعر في المسرح تاريخ أعرق من تاريخ النثر، فلم يكن يدور بخلد أرسطو، أن المسرحية تكتب نثراً، بل إنه حصر الشعر المعتمد به عنده في المسرحيات والملاحم، ولم يعبأ لذلك بالشعر الغنائي، ولكن هذا لا يمنع من القول، بأن بعض أدباء اليونان قد كتبوا ألواناً من الفن المسرحي نثراً لا شعرا، كفن الملهاة" (في النقد المسرحي)

الفصل الرابع: المسرحية في عصر الجاهلية.

اتفق المؤرخون والنقاد الباحثون على أن للعرب طقوس دينية كسائر الأمم والشعوب لا تختلف كثيرا عن طقوس (السومريون)،و(البابليون)، و(الفراعنة)، وحتى اليونانيون القدماء، إلا في طبيعة الديانة وأسماء الآلهة، وحوت طقوس العرب كل ما في الطقس من عناصر درامية كالفعل المسرحي، والأداء، والرقص، والإيقاع ، وتميز الطقس عندهم "بأنه يقدم في إطار حركي له طابع احتفالي جماهير عام" (عرسان، 1985)،واحتوت طقوسهم على الحركة (الأداء) ومن بين الطقوس المعروفة في بلاد العرب رقصة نساء بني دوس" (عرسان، 1985)، وهي عبارة عن طقوس تعبدية تؤدى جماعيا وتحتوي على الكثير من عناصر العرض المسرحي، وكذلك ما كان يؤدى طلبا للاستسقاء وهو طقس كان تؤدى منذ زمن الجاهلية (عرسان، 1985)، وأيضا كان الشعر العربي القديم قبل ظهور الإسلام يدور في دائرة واحدة لم يستطع الخروج منها، وتلك الدائرة ترتبط أساساً بالبيئة والطبيعة وترتبط بالقبيلة والمفاخرة والبطولة، وهي بحد ذاتها موضوعات بسيطة جداً إذا ما قورنت بتلك التي بلغها (السومريون)،و(البابليون)، و(الفراعنة)، وحتى اليونانيون القدماء، قد طرحوا موضوعات من الحياة والوجود تحتوي على رؤية واضحة لمناقشة موضوعة الموت والعبادة وغيرها، لكن الأدب والشعر العربي في الجاهلية بمراحلها المختلفة لم يتعمق كثيراً في طرح تلك الأفكار الإنسانية الهامة التي طرحها الأقدمون على الرغم من أنهم يمتلكون لغة أدبية راقية لا تقل رقياً عن تلك اللغة القديمة،فالأدباء الجاهليون تعاملوا مع فن التشبيه من خلال المنحوتات التي كانت ترمز للآلهة (هبل)، و(اللات)، و(العزى)، حتى وإن كانت بدائية وفطرية، وكانت حياتهم مليئة بالروح القبلية التي لا تستند إلا للمآثر والبطولات الفردية ولديهم ميزات وممارسات اجتماعية كانت يمكن أن تشكل حافزاً للتعامل مع أنواع مختلفة من الفنون ومنها المسرح، فهم نبغوا في فنون القول وتعددت أيامهم التي تشبه الملاحم، إلا أنهم لم يعرفوا فن الدراما في صورته كما ظهرت وتوهجت عند اليونانيين والرومان، فلم يعرفوا الشعر التمثيلي الذي يعتمد على مسرح، وعلى حركة وعمل معقد، وحوار طويل بين الأشخاص، تتخلله مشاهد ومناظر مختلفة، فهذه الضروب من الشعر لم يعرفها العرب في العصر الجاهلي، فشعرهم منظومات قصيرة فلما تجاوزت مائة بيت، وهو شعر ذاتي يمثل صاحبه وأهواءه، على حين الضروب السابقة جميعًا موضوعية؛ فالشاعر فيها لا يتحدث عن مشاعره وأحاسيسه؛ إنما يتحدث عن أشياء خارجة عنه، سواء حين يقص أو حين يعلم أو حين يمثل؛ فهو في كل ذلك يغفل نفسه ولا يقف عندها؛ إنما يقف عند جانب قصصي تاريخي يحاكيه؛ أو علمي تهذيبي يرويه؛ أو تمثيلي مسرحي يؤديه، متجردًا عن شخصه وما يتصل بذاته، وأهوائه، وعواطفه، فالشعر الجاهلي ارتبط بالغناء عند أقدم شعرائه، ومن حين إلى حين نجد أبا الفرج الأصبهاني يشير إلى أن شاعرًا جاهليًّا تغنى ببعض شعره من مثل (السُّلَيْك بن السُّلَكة)، و(علقمة بن عبده الفحل)، و(الأعشى)، وكان يوقِّع شعره على الآلة الموسيقية المعروفة باسم الصنج، ولعله من أجل ذلك سمي صنَّاجة العرب. (الاصفهاني) (ضيف).

فالغناء كان أساس تعلم الشعر عندهم، ولعلهم من أجل ذلك عبروا عن إلقائه بالإنشاد، ومنه الحداء الذي كانوا يحدون به في أسفارهم وراء إبلهم، وكان غناء شعبيًّا عاما؛ فالطقوس العربية الدينية أيام الجاهلية، كانت تشتمل على رقص؛ وغناء؛ وإيقاع؛ ودعاء، وكل ذلك يُقدم في إطار حركي له طابع احتفالي جماهيري، لا سيما أشكال الاحتفال عند بعض الأصنام الجاهلية أمثال: (اللات)،و(العُزَّى)، و(أساف)، و(نائلة) (عرسان، 1985)، إلا أن قبيلة (ذبيان) وعشائرها تظهر على مسرح التاريخ الجاهلي مع حرب داحس والغبراء التي نشبت بينها وبين أختها عبس، واستمرت فيما يقول الرواة نحو أربعين عامًا امتدت فيما دون التاريخ من سنة(568) إلى سنة (608)للميلاد (ضيف).

والذي يظهر لي أولا: أن أدباء العصر الجاهلي لم يطلعوا على ما يدور حولهم وما قبلهم من أدب، وفن مسرحي، أو ملحمي، سواء كان سومرياً، أو بابلياً، أو فرعونياً، أو يونانياً، وليس هنالك من أدلة مقنعة تثبت أنهم تواصلوا مع محيط أبعد من محيطهم الذي لا يتعدى الجزيرة العربية، واليمن، والهلال الخصيب، حتى أن معتقداتهم الدينية قبل ظهور الإسلام لها خصوصيتها الكاملة؛ فهم كانون يؤمنون بتعدد الآلهة مثل الذين سبقوهم، لكنهم لم يتعاملوا معها على شكل ملحمي، أو أسطوري، أو طقوسي احتفالي، ولم ينظموا

الأشعار التي تتناول الآلهة، وإنصافها مثلما كان ينظم الشعراء في المراحل الأولى من نشأة الحضارة الإنسانية، وأثناء تطورها، إلا أن الطقوس الدينية القديمة، والأعياد الموسمية لعبت دوراً هاماً في ظهور المسرح منذ القدم، بيد أنها لم تلعب نفس الدور في ظهور أية بادرة توحي بأن لها علاقة بالمسرح عند العرب القدماء (الدكتور عبدالله).

ثانيا : ربما كان لصعوبة ظروف المعيشة التي كان يعيشها العرب دخل في ذلك؛ إذ لم تكن تدع لهم فرصةً لالتقاط الأنفاس والاهتمام بمثل ذلك الفن المعقد، فقد كانوا في حِل، وترحال جريًا وراء الماء والكلأ، وكانت المعارك تشتعل بينهم لأتفه الأسباب، كما كانت النزعة الفردية متسلطةً عليهم، اللهم إلا فيما تمليه عليهم الحياة إملاءً لا مفر عنه؛ كالحرب وتنظيم القوافل مثلاً، والمسرح يحتاج إلى جهود إعداده، ومستلزماته، وفوق هذا فالتمثيل يقتضي اختلاط الرجال بالنساء، ولا أظن النفسية العربية في ذلك الوقت كانت تسيغه أو تسيغ قيام الرجل بدور المرأة على المسرح، ثم إن عدم وجود مواد سهلة ورخيصة للتدوين، وغير ذلك من انتشار الأمية فيهم إلى مدًى بعيد، كل ذلك من شأنه أن يكون عقبةً دون ظهور المسرح.

الفصل الخامس: المسرحية في عصر صدر الإسلام.

لا يوجد أدلة أو وثائق واضحة تثبت أن العرب القدماء قد تعاملوا مع الفن المسرحي على الإطلاق، خاصة في المراحل الأولى من ظهور الإسلام في شبة الجزيرة العربية وانتشارها في مناطق مختلفة من اليمن، والهلال الخصيب، وبلاد الرافدين، فقد بقي الحال كما هو عليه في العصر الجاهلي على الرغم من انحسار العادات، والتقاليد، والممارسات، والأفكار الوثنية شيئاً فشيئاً، فالظروف أصبحت مهيأة لتقبل ما هو جديد، وما هو إيجابي يتناسب مع بناء مجتمع جديد من الناحيتين الأدبية، والفنية، ومنها المحاولات المسرحية، أو بوادرها الأولى، فقد ظل الشعر هو السائد كما كان في السابق، وبقيت الحكايات، والأساطير هي التي تروى على الأغلب، وتم التوقف من استخدام التشخيص عبر المنحوتات، وتوقف التعامل مع الرسم الفطري؛ حتى وإن لم يكن في السابق غير مرئي أو سائد على الإطلاق.

وبدأ الاهتمام بالخط العربي والزخرفة الإسلامية، وأصبحت لها مدارسها وروادها ومتعلميها في الكثير من البلدان التي فتحها المسلمون، وأصبح لها التأثير الواضح عالمياً على اعتبار أن الخط العربي، والزخرفة الإسلامية، فن بصري على درجة كبيرة من التألق الإبداعي الدائم، ولم يتعامل العرب بعد الإسلام مع البواكير الأولى للفن المسرحي، مع أنهم يمتلكون رؤية إبداعية أخرى في ظل انتقالهم التدريجي إلى مرحلة حضارية، وحياة مدنية لم تكن موجودة في السابق، وهذا يعود إلى تأثير الذهنية السائدة المتوارثة من جيل إلى آخر بالنسبة إلى فن التشبيه ، فهم ينظرون إليه على أنه حالة لا جدوى منها في ظل هذا التطور في فن صياغة الشعر، أو الرواية، أو حتى الأساطير الخرافية، لقد كان لديهم هذا الميل الواضح لكل أشكال الدراما الأخرى، ولم يكن لهم أي ميل باتجاه فن المسرح، ولو بأشكاله البدائية.

لقد كانوا يتقنون فن الحكاية، ويتقنون أيضاً فن المحاورة بين الشخصيات، وهذا واضح في الكثير من القصص والحكايات القديمة، وهذان الأمران- فن الحكاية، وفن المحاورة -هما عاملان ملازمان وجوهريان في كتابة النص المسرحي؛ حتى وإن كان بدائياً- لكنهم حادوا عنه لأسباب كثيرة-، لعل أهمها أنهم لم يطلعوا على التجارب المسرحية الأخرى في ذلك الزمان، سواء عن طريق المشاهدة أو القراءة، أو أنهم لم يدركوا بعد تأثير تلك الأعمال المسرحية نصاً وتمثيلاً على بناء شخصية الناس أو المجتمعات وعلى تعميق ونمو وتغيير مداركهما المختلفة.

يذهب بعض الباحثين النقاد؛ على أن العرب قد حرموا التعامل مع المسرح بعد الإسلام، وفي الحقيقة لايوجد أي نص ديني يدعو إلى تحريم هذا الفن، أو وجود فتوى تمنع مزاولته، وقد اتفقت معظم أراء الدارسين على أن الإسلام قد حال دون اقتباس هذا الفن، لأنه يتعارض مع روح الدين الإسلامي، ولأنه يتعارض مع الطبيعة العربية (الدكتور عبدالله).

الفصل السادس: المسرحية في عصر الدولة الأموية.

في عصر الدولة الأموية، ذكر البعض الباحثين النقاد أنه وجد فيه بعض مظاهر المسرحية، فكانت مصر الفرعونية يوجد بها المسرح؛ وخرج من المعبد إلى الشعب، وكان يقوم بالتمثيل في فرق متجولة ثم قضي على هذا المسرح المصري؛ وتلاشت ملامحه في مصر اليونانية، والرومانية، ولاسيما بعد ظهور الدين المسيحي، وذلك لاتصاله الوثيق بالوثنية، وعندما دخل العرب مصر، واعتنق أهلها الإسلام، وتعلموا العربية، صار الأدب العربي أدبا لهم (الدكتور الدسوقي، 1954م).

وأيضا "كان الشيعة يمثلون مقتل الحسين الذي وقع في العصر الأموي سنة (61هجري)،فلا خلاف بين الباحثين في المسرح حول الإمكانيات المسرحية الكبيرة المتوافرة في إحياء الجماهير لذكرى عاشوراء، حيث يُعاد فيها تصوير استشهاد الحسين. وحيث تُعتبر الأيام العشرة التي تحييها(كربلاء) كل عام من أكثر الاحتفالات الدينية الإسلامية قرباً من المسرح الجماهيري العام، سواء بأساليب تقديمها، أو بتأثيرها على الناس: حيث يبدأ في اليوم الأول من محرم من كل عام، وهو تاريخ وصول قافلة الحسين الصغيرة إلى كربلاء،

حيث أقامت خيامها محرومة من الماء، عشرة أيام من الصيام والعويل والبكاء. وتُتلى قصة الفاجعة المؤلمة على جماهير النائحين والباكين في كل يوم، وفي كل بلدة وقرية ومضرب من مضارب القبائل. ويظل الرجال، طوال ثلاثة عشر قرناً،من يوم قتل الحسين في عصر الدولة الأموية عام(61هجري)، يطوفون الشوارع في كل ليلة من هذه الليالي العشر، وقد نزعوا ملابسهم حتى الخصر، يسوّطون أنفسهم بالسياط والأغلال، ويعولون، ويبكون الحسين. ويُعاد تمثيل المعركة مرة كل عام، في العاشر من محرم، خارج كل مدينة وقرية، وتمثّل جماعة من الرجال في مخيّم صغير جماعة الحسين، بينما يمثل فريق كبير جيش الأمويين، ويؤدي أحد الرجال الدور المخزي لشمّر قاتل الحسين، وبعد انتهاء التمثيل يسير الموكب إلى البلدة، وقد حمل رأس الحسين، كما يسير فيه موكب من الأطفال الصغار، وقد ألقوا ثيابهم على رؤوسهم ليخفوها، يمثلون دور الجثث بينما تُصوّر الرؤوس المقطوعة على الخشب، وتُطلى باللون الأصفر، لتبرز صورة الموت، وتكتظ ساحة البلدة وأسطحها بالنساء والأطفال، ويرتفع النحيب والبكاء من كل مكان. بينما تسير القافلة في طريقها عبر البلدة. ولا يستطيع المرء أن يرى هذا المنظر العاطفي الذي يثير الشجن دون أن تسيل من عينيه العبرات، في قصة تبتدئ بخروجه من المدينة إلى أن قتل في كربلاء، وكانت القصة تمثل في ساحة واسعة ضربت فيها الخيام، واتشحت بالسواد، ويقوم شيخ يثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الحسين وآله في نغم حزين يهيج العواطف ويستدرج الدموع، وينتهي التمثيل بحرق أعشاش في جوانب الساحة التي مثلت فيها القصة" (الدكتور الدسوقي، 1954م)، فهذه الشخصيات التي تأخذ أدوار شخصيات تاريخية، والملابس والأدوات والمواكب (والماكياج) الذي يوضع للرؤوس المقطوعة، وزيّ الأطفال الذين يمثلون الجثث، وأضفنا إلى ذلك ما يحتويه النص والعرض من إعادة تمثيل للقصة التاريخية التي وقعت في عام (61هجري) في عصر الدولة الأموية، وما تضمنته النصوص والاحتفالات، وجدنا فيها مقوّمات المسرح كافة، وجد المسرح الشعبي الذي يكون الناس فيه مؤدين ومشاركين ومتفرجين، يعيدون إحياء حدث تاريخي مؤثر، ويحيون في تفاصيل كلها شجون، وجاء أيضا في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، أنه تحدث عن مجالس الطرب والرقص مستشهداً ويقول إن : "هذه المجالس استخدمت مسرحياً الأزياء والمكياج والموسيقى والغناء والمكان المسرحي والحركة المسرحية في عزفها على العود" (عرسان، 1985).

نتائج البحث:

أولا: أن المسرحية بنوعيها الملهاة ، والمأساة تختلف عن بقية الفنون؛ بأنها ظاهرة جماعية أنتجتها الجماعة تعبيرا عن ذاتها الاجتماعية، أو النفسية، أو الحضارية، أو محاولة للتعبير عن المشاعر الأكثر تأصيلا في الذات الاجتماعية للجماعة عبر الرقص الذي يعد أساس الفنون المسرحية، فالإنسان القديم عبر عن رغباته ومشاعره بالرقص، عبر عن فرحه بانتصار ، وعن حزنه من انكسار، وعن حاجاته للمطر والغذاء، وفرحه بالاكتفاء والامتلاء بالرقص، حتى المعارك في المحاربات يتقدمون ويتراجعون ويسددون الضربات، ويرمون الرماح؛ كل ذلك بالرقص فهذه الرقصة تعتبر عمل فني، ومثل هذه الرقصات، رقصات فرح الجماعة بالحصاد الوفير، أو استعطاف الآلهة لجلب المطر ،وغيرها (تشيني، 1998م)،مما يدل على أن الإنسان حاول أن يفرغ طاقته عبر الحركات الإيقاعية، والإيماء، والتعبير التي تطور لتصل إلى الظاهرة المسرحية؛ كل ذلك كان يوجد في الحضارات القديمة(كالسومرية)، و(البابلية)، و(الفرعونية)، و(الإغريقية)، جميعا ظهر لديهم نوع من أنواع المسرح (غسان، 2011م).

ثانيا: تبين أن أول نص مسرحي مكتمل لأقدم مسرحية عرفتها الحضارة الإنسانية في التاريخ كانت على المسرح الفرعوني، وبذلك يكون أقدم مسرح في التاريخ، وقد برهن ذلك عالم الآثار الفرنسي (اتيين دريوتون) الذي أسهم في من خلال كتاب عن حل الكثير من شفرات الكتابات الهيروغليفية، والذي صدر عام(1938م) وترجمه إلى العربية الدكتور (ثروت عكاشة عام 1966م) (دريوتون ا.، 1967م)، ثم المقال الإلحاقي الذي نشره نفس العالم مؤلّف الكتاب سالف الذّكر عام(1954م) استكمالا لما أورده بكتابه، وفي كتابه "المسرح المصري القديم (ترجمة د. عادل سلامة " ص 22 -24) ، وهو من أهمّ المراجع حول موضوع المسرح الفرعوني القديم ،فقد اثبت فيه ؛أنّه كان يوجد هناك مسرح ناضج مكتمل العناصر، وأنّه يوجد عدد لا بأس به من النصوص المسرحية ، فكان أول ثمرة لأبحاث هذا العالم هي مسرحيّة (انتصار حورس) (هـو، 1972م)، التي نقلها عن(الهيروغليفية) حيث كان النص ، منقوشاً على جدران معبد (إدفو) حيث سجّل هذا النص على جدران هذا المعبد في عهد (بطليموس التاسع عام 88 ق.م)، وحسب ما ذكر (اتيين دريوتون) ، أن اللغة التي كتبت بها النصّ، تدلّ على أنّه كانت متداولة في عهد الدولة الجديدة، أي قبل ألف عامٍ من إنشاء هذا المعبد، كما أن الشعيرة التي تتناولها المسرحيّة ، موغلة في القدم ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة ق.م، وبذلك يكون هذا النص "انتصار حورس" هو أول نص مسرحي مكتمل، لأقدم مسرحية عرفتها الحضارة الإنسانية في التاريخ.

وقد ذكر في كتاب (هيرودوت) يتحدّث عن مصر "ترجمة د. (صقر خفاجة " ص 300- 304) أن أول مسرحيّة إغريقية معروفة (الضارعات لأسخيلوس) تتناول قصّة زواج بنات(دناؤس) المنتسبات إلى (دادقي أرض كنعان) إلى أبناء عمومتهم أولاد أجيبت سوس (نسبة إلى مصر)، وكيف قتلت هؤلاء البنات أزواجهنّ ماعدا إحداهن التي استبقت على زوجها لأنها أحبته، تلا ذلك مسرحيّة (المصريون) لأسخيلوس والتي ضاع نصّها ، وهذا يدعوُ للتساؤل عن إمكان البحث في الأصول المصريّة للمسرح الإغريقي القديم.

وحسب ما ورد في كتاب (هيرودوت) عن تاريخ مصر القديمة ، فقد ظهرت أدلّة أخرى تؤكّد وجود المسرح المصري القديم، فمثلا النص الذي أشار إليه (الاديس نيكول) والذي جاء على لسان أخر نوفرت الذي كلّفه (سنوسرت) الثالث ببناء ضريحا جديداً لـ (أوزيريس)، وتنظيم الطقوس والاحتفالات للإله، وإنشاء بعض الأدوات التمثيلية لمسرحية (بعث أوزيريس) التي كانت تقام في (أبيدوس) ، ويثبت هذا النص تأكيد الجانب الدّرامي في الشعائر المصرية القديمة، كما يشير إلى الجدّية التي كانت تؤخذ بها إقامة مسرحيّة بعث أوزيري، فقد كانت الأدوار التمثيلية الرئيسية بنصّها كان يقوم بها أتباع الملك، والتفاصيل التي يحويها النص والترتيب الذي جاءت به ، يشير إلى دقّة القائمين بالمسرحية في المحافظة على تتابع الأحداث فيها ، وهي الدّقة المطلوبة في إقامة الشعيرة ، وثمّة أمور أخرى ممكن أن نستشفها من الفحص لهذه النصوص المسرحية ،وقد أشار الباحثون انفي الذّكر ، مؤكدين بأن المعبد لم يكن بالضرورة هو المكان الأوحد الذي تقام فيه الشعائر التي اتخذّت صفة " المسرحية "، بل كان المسرح عبارة عن المدينة بأسرها فلم يكن هناك ضرورة لإنشاء مبنى خاص للمسرح لهذه النوعيّة من المسرحيات ، والقول بأن المسرح لم ينشأ في مصر القديمة لعدم وجود مباني للمسرح ضمن الآثار المعمارية المختلفة، يصبح أمراً غير منطقي، فالمسرح كان كجزءً من الطقوس والشعائر الدينية ويقوم على خدمتها.

ويشير (اتيين دريوتون)في كتابه (المسرح المصري القديم) أن هناك من النصوص التي وصلت إلينا ما يسمى بـ(كراسات المخرجين)، و بـ(كراسات الممثلين)، فالأولى التي تتضمن توجيهات للمشاركين في الأداء حول ما سيقومون به من أدوار تلخّص الشعائر وتفسِّر رموزها، وتبسط الفكرة العامة للحدث ، كما تتضمن فواتح الحوار الذي على الممثلين استظهاره.

أمّا الثانية ففيها يثبت هؤلاء الأدوار المسندة إليهم دون الحاجة إلى إثبات غيرها ودون الحاجة إلى اسم الشخصية التي يؤدون كلماتها.

وفي ضوء هذه المعايير التي ناقشها (دريوتون) في كتابه، أمكن تحديد عدد لا بأس به من النصوص الدّرامية مثل(:ميلاد حورس وتأليهه)، و(هزيمة ثابوفيس الشاملة)وغيرها.

ومع استخلاص" هـ(فيرمان) النص الكامل لمسرحية (انتصار حورس) من نقوش معبد (إدفو) يحقُّ لنا أن ندعو إلى إعادة كتابة تاريخ المسرح الواعي واستكشاف جذوره لا في الحضارة اليونانية، ولكن في مصر الفرعونية القديمة التي هي بحق أول من قدمت المسرحية.

ثالثا: أما بالنسبة للمسرحية في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، والدولة الأموية فالمؤرخون الباحثون والنقاد، من العرب وغيرهم، الدارسون لمراحل تطور المسرحية في هذه العصور اختلفوا حول سؤال: هل عرف العرب القدامى المسرح؟ قسم منهم توسع في استيعابه لمفهوم المسرح،فمنهم من قام باستعراض وعد بعض الظواهر في التراث العربي في هذه العصور؛ كالمواسم الادبية العربية في الجاهلية التي كانت تترافق مع مواسم الحج، وأيضا ذكروا الأسواق الأدبية كسوق عكاظ، ودومة الجندل، وذا المجاز وغيرها، ورأوا في المساجلات الشعرية نوعا من أنواع المسرح، وأيضا ذكروا القصّاصون العرب، والقصاصون الذين عرفهم الإسلام هم: النضر بن الحارث، وكان على خلاف مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وتميم بن أوس الداري وهو أول مَنْ قصّ في مسجد الرسولﷺ بأسلوب الوعظ الديني، والأسود بن سريع السعدي وهو من الصحابة، وأول مَنْ قصّ في مسجد البصرة.

ويرى علي عقلة عرسان: أن القصاصين فئة تتجسّد فيها جوانب من الظاهرة المسرحية عند العرب، وقد قيل إن أول مَنْ قصّ هو عُبيد بن عُمير على عهد عمر بن الخطابﷺ، وقيل بل تميم الداري. وقد ركزّ القص في بداياته على الوعظ، والاستفادة من التاريخ، والكتاب، والسنّة، لتحقيق أغراض الهداية، والإرشاد، فالقصاص كان يجلس وحوله المستمعون ويستجيبون له ويتبادلون معه الحوار، فالقصّاص هو الممثل الوحيد الذي يحكي حكاية الأشخاص جميعا في الرواية ، أو الملحمة التي ينشدها وهو يحكي يحاول أن يبدل في ملامحه ويتقمص الشخصية، ويلون صوته، وتتبدل ملامحه وتعبيراته وحركات يديه للتوافق مع المواقف التي تمر بها الشخصيات في الرواية المروية على الجمهور المستمعين (عرسان، 1985)، ودللوا على ذلك أيضا بأن رجلا من الصوفية زمن خلافة المهدي، في منتصف القرن الثاني للهجرة كان يخرج على تل عال فيتبعه جمع من الناس فيطلب من بعض أتباعه أن يمثلوا أداور الخلفاء والولاة، والقادة ثم يقوم هو بمحاكمتهم وإدانتهم في أمور تخص الناس في زمنه (غسان، 2011م)،فخلصوا إلى أن التراث العربي فيه نوع من المسرح ولكنه ليس بالضرورة أن يتطابق مع المسرح الإغريقي كما رسخ قواعده اليونانيون وقد أيد هذا القول (محمد كمال الدين)، و(علي الراعي) (الراعي، 1988م)، و(علي عقلة عرسان) الذي ألف كتابا كبيرا سماه " الظواهر المسرحية عند العرب" ولكن هذه الظواهر تحمل بعض سمات الفرجة المسرحية إلا أنها لا تتعدى إلى أن تكون مسرحا فالنياحة ، واحتفالات المولد النبوي وقصائد المدح للرسول ﷺ وعاشوراء، ومقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، التي قد تصاحب تمثيل مقتله، فهذه الظواهر تبقى في حدودها الدينية، أو الاجتماعية ، ولم تصل لعدّها مسرحا بمقاييسه التي عرفنا من خلال المسرح الإغريقي.

وبعض الدارسين (كزكي نجيب محمود)، و(عباس محمود العقاد)، و(توفيق الحكيم) (الحكيم، 1994م)، فقد أقروا بأن الأدب التمثيلي لم يكون موجودا في عصور الجاهلية، و صدر الإسلام و العصر الأموي وذلك لعدة أسباب منها :

1- العامل الاجتماعي، ويرى أصحاب هذا التعليل أن الحالة الاجتماعية البدوية التي عاش في كنفها العرب في الجاهلية وما تلتها لم يتح لهم الاستقرار، والمسرح فن حضري يحتاج إلى الاستقرار والتمدن (محمود، 1957م)، ومادامت بيئة العرب لم تتعدد فيها أدوار الحياة الاجتماعية على حسب اختلاف الأعمال، والصناعات، والطبقات، لم يعقل أن ينشأ فيها فن التمثيل أو يظهر فيها أدب المسرح فإنما يقوم التمثيل من الناحية الاجتماعية على التجارب بين الأفراد والأسر وكلما تعددت العلاقات تنوعت المطامع والنزعات، ولم يكن في المجتمع العربي آنذاك مجال كبير لهذا التجارب (العقاد، 1968م)، وهذا الرأي يميل إلى الواقع ويصيب كبد الحقيقة، لأن الاستقرار عامل مهم في قيام فن جماعي كالفن المسرحي، ولا مجال لقيام المسرح دون استقرار، ولكن يشكل على هذا أن الحياة العربية عرفت نوعا من الاستقرار، وبناء الحضارات المدنية في بلاد اليمن والشام والحجاز منذ(1100ق.م) حتى عام (260م)فقد قامت دول وحضارات مستقرة كالدولة السبتية، والمعينية، والحضرمية، والحميرية، فهذه الدول بنت حضارة زراعية مستقرة، وتركت ما يدل على استقرارها مثل الحصون، والقصور، والسدود ، وغيرها، وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾(سورة سبا الآية 15) ،فالثابت أن هذه المنطقة من العصر الجاهلي؛ قد عرفت الاستقرار، وقد ذكر توفيق الحكيم أن العرب قد عرفوا الاستقرار بعد الإسلام المدنية، والقوانين ، والدولة، فما بال العرب أيام الأمويين (غسان، 2011م).

2- العامل الديني: أصحاب هذا الرأي يروا أن ديانات العرب قبل الإسلام كانت ديانة وثنية لا تقوم على فكر وليس لها علاقة بالروح كما كانت عند الشعوب الأخرى فلم يكن عندهم طقوس ومراسم تؤدي على نشأة فن التمثيل كما كان عند الفراعنة، والإغريق، وعندما جاء الإسلام منع التصوير، ومن ثم منع التمثيل والتجسيم، وتحرم هذه الملاح الفنية التي يقوم بها فن المسرح، مع تحجب المرأة وجلوسها في بيتها لا يعين على وجود المسرح ، وأيضا لم يكن يسهل فيه التشخيص (احمد، 1965م) (إسماعيل).

3- العامل الحضاري:أرجع(زكي طليمات) عدم وجود الفن المسرحي في هذه العصور إلى أسباب حضارية لأن الحضارة مرحله أولية لم تتهيأ لها أسباب التطور والتقدم والجزيرة العربية لم تكن حضارية بالمعنى الكامل، وأضاف إليها أيضا الأسباب الدينية (طليمات، 1965م).

قائمة المراجع

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، الأغاني "طبعة دار الكتب".
- إبراهيم، أحمد -الدراما والفرجة المسرحية، دار الوفاء للطباعة والنشر – ط1 – الإسكندرية، مصر 2006م.
- إسماعيل، عز الدين-الأدب وفنونه دراسة ونقد (الأدب – النقد-الشعر –القصة-المسرحية-المقال)دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1434هـ - 2013م.
- إسماعيل، عزالدين-قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر دراسة مقارنة.، دار الفكر العربي ، القاهرة 1968.
- أمين، أحمد-فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية –ط10-1965م الفصل الثالث.
- انتصار حورس: مسرحية، نقلها عن الهيروغليفية هـ و فيرمان؛ ترجمة وتقديم عادل سلامة، وزارة الإعلام 1972م.
- إتيين، دريوتون – المسرح المصري القديم – ترجمة د. ثروت عكاشة – الهيئة المصرية العامة للكتاب– ط (2) -1988م.
- البكري، وليد-موسوعة أعلام المسرح والمصطلحات المسرحية،عمان، دار الأسامة 2003م
- تشيني، شلدون -المسرح، ثلاثة آلاف سنة من الدراما والتمثيل والحرفة المسرحية، تر جمة: حنا عبود، وزارة الثقافة والمعهد المسرحي ، دمشق 1998م.
- التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 1999م -ط2 بيروت –دار الكتب العلمية.
- حسين، علي محمد حسين، التحرير الأدبي،مكتبة العبيكان –ط5 -1425هـ/2004م.
- الحكيم –توفيق، مقدمة مسرحية الملك أوديب، نقلا عن نظرية المسرح تقديم محمد كامل الخطيب، القسم الثاني، وزارة الثقافة دمشق -1994م.
- الدكتور، الدسوقي،عمر، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها – مكتبة الأنجلو المصرية-ط1-1954م.
- أبوزيد علي إبراهيم– تمثيليات خيال الظل – دار المعارف – ط2– 1983 م.
- سرحان، سمير – تاريخ الدراما البدايات الأولى.
- سيد علي إسماعيل، الظواهر المسرحية في العالم العربي (الحلقة الثانية).
- عبدالله، دراجي، الظواهر المسرحية في المسرح العربي تاريخياً https://www.atitheatr/
- عناني،محمد، الأدب وفنونه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1991م

- صابري، علي، المسرحية نشأتها ومراحل تطورها ودلائل تأخر العرب عنها.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي.
- طليمات، زكي: فن التمثيل العربي –الكويت 1965م
- العقاد –عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوربية -دار المعارف –القاهرة -1968م –ط6.
- عرسان، علي عقلة – الظواهر المسرحية عند العرب–منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 1985 – ط3.
- مجيد صالح بك، تاريخ المسرح عبر العصور القاهرة -2002م -ط1 -الدار الثقافية للنشر.
- محمود، زكي نجيب، قشور، ولباب – مكتبة الأنجلو المصرية 1957م.
- وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب –بيروت –مكتبة لبنان 1994م.
- هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن–ط3 -بيروت دار العودة، 1999م.
- صالح، رشدي– المسرح العربي – مطبوعات الجديد – عدد(4) – يونيه 1972 م.
- صدقي، عبد الرحمن – مولد المسرح على أعتاب المعبد – مجلة (المجلة) – عدد(15) – مارس 1958م
- غسان ،غنيم ، ظاهرة المسرح عند العرب ، مطبوع في مجلة جامعة دمشق المجلد 27، العدد الثالث +الرابع 2011م.
- الكاهن يؤلف للمسرح – مجلة (المسرح)-عدد(13) – يناير 1965 م.
- مندور، محمد ،المسرح الحديث وسلسلة التطورات السابقة – مجلة (المجلة) – عدد(7) – يولية 1957م.
- دياب، رابح ، رؤية العالم في الخطاب المسرحي السياسي السوري، سعد الله ونوس أنموذجا -الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث 2015-2016م